

الكشاف

" النون " الحوت فأضيف إليه . برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وطن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضبا ۞ وأنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت . ومعنى مغاضبته لقومه : أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها . وقرأ أبو شرف " مغضبا " قرء : " نقدر " و " نقدر " مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف . ويقدر . ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا . وفست بالتصيق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة . وعن ابن عباس : أنه دخل على معاوية فقال : لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصا إلا بك قال : وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال : أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه . قال : هذا من القدر لا من القدرة . والمخفف يصح أن يفسر بالقدرة على معنى : أن لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب التمثيل بمعنى : فكانت حاله ممثلة بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله . ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس إليه في كل وقت . ومنه قوله تعالى : " وتظنون بالله الطنونا " الأحزاب : 10 ، والخطاب للمؤمنين " فى الظلمت " أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله : " ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات " البقرة : 17 ، وقوله : " يخرجونهم من النور إلى الظلمات " البقرة : 257 ، وقيل : ظلمات بطن الحوت والبحر والليل - وقيل : ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر . " أن " أي بأنه " لا إله إلا أنت " أو بمعنى " أي " عن النبي A : " ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له " وعن الحسن : ما نجاه الله إلا إقراره على نفسه بالظلم .

" فاستجبنا له ونجينه من الغم وكذلك نجي المؤمنين " .

" نجي " " وننجي " " نجي " والنون لا تدغم في الجيم ومن تحمل لصحته فجعله فعل وقال نجي النجاء المؤمنين - فأرسل الياء وأسنده إلى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء - فمتعسف بارد التعسف .

" وذكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسرعون في الخيرت ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خشعين "

سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره إلى الله مستسلما فقال :

" وأنت خير الوارثين " أي إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث . إصلاح زوجه :
أن جعلها سالحة للولادة بعد عقرها . وقيل : تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق " إنهم "
الضمير للمذكورين من الأنبياء عليهم السلام يريد أنهم ما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم إلا
لمباشرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الأمور الجادون .
وقرء " رغبا ورهبا " بالإسكان وهو كقوله تعالى : " يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه " الزمر
: 9 . " خشعين " قال الحسن : ذللا لأمر □ . وعن مجاهد : الخشوع الخوف الدائم في القلب .
وقيل : متواضعين . وسئل الأعمش فقال : أما إنني سألت إبراهيم فقال : ألا تدري ؟ قلت :
أفدني . قال : بينه وبين □ إذا أرخى ستره وأغلق بابه فليرا □ منه خيرا لعلك ترى أنه
أن يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأ طء رأسه .
" والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين " .
" أحصنت فرجها " إحصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت : " ولم يمسنني بشر
ولم أك بغيا " مريم : 20 ، فإن قلت : نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه . قال □
تعالى : " فإذا سويته ونفخت فيه من روحي " الحجر : 29 ، أي أحييته . وإذا ثبت ذلك كان
قوله : " فنفخنا فيها من روحنا " ظاهرا الإشكال لأنه يدل على إحياء مريم قلت : معناه
نفخنا الروح في عيسى فيها أي : أحييناه في جوفها . ونحو ذلك أن يقول الزمار : نفخت في
بيت فلان أي : نفخت في المزمار في بيته . ويجوز أن يراد : وفعلنا النفخ في مريم من جهة
روحنا وهو جبريل عليه السلام لأنه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها . فإن قلت :
هلا قيل آيتين كما قال : " وجعلنا الليل والنهار آيتين " الإسراء : 12 ؟ قلت : لأن حالهما
بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها إياه من غير فعل